الرأي العام

العدد ١١٠٦٢ • السبت ٤ أكتوبر ١٩٩٧
Issue No. (11062) • Sauarday 4 Oct. 1997

رئيس معهد «ميدل إيست فورم» في حوار مع «الرأي العام»

دانييل بايبس: اميركا مركز العالم ومن يريد عمل شيئ لا بد ان يأتي الينا

كتب أحمد القريشي:

دانييل بايبس ليس حتما مستعربا آخر في سلسلة الباحثين في مراكز الدراسات والبحوث الأميركية المتخصصة في الشرق الأوسط والمؤثرة في اتجاهات السياسة الخارجية للقوة العظمى الوحيدة في العالم اليوم.

انه محلل «الأمر الواقع» في سياسة الشرق الأوسط، وهو جزء من مجموعة صغيرة ولكن نامية في الولايات المتحدة يمكن تسميتها بال «لوبي الكويتي» الذي بدأ في التشكل بعد حرب تحرير الكويت نتيجة جهود كويتية رسمية وشعبية متمثلة في مشاركات لمسؤولين كويتيين في مناسبات القوات المسلحة الأميركية، وجهود اجتماعية ناشطة لأفراد كويتيين وأميركيين من خلال مؤسسة «كويت - أميركا فاونديشن».

والدكتور بايبس، الذي يشار اليه بالبنان بين المهتمين بشؤون الشرق الأوسط كـ «صديق للكويت» كما يشار الى غيره بأنهم «أصدقاء لاسرائيل» و«أصدقاء لايرلندا»، هو أحد المنادين بعلاقات كويتية - اميركية أقوى وأوثق مما هي عليه الآن.

وكرئيس لمعهد «ميدل ايست فورم» المستقل، ورئيس التحرير لمطبوعته الفصلية «ميدل ايست كوارترلي»، يرى بايبس قنوات متعددة لتدعيم العلاقة الكويتية - الأميركية ويوليها أسبقية على غيرها من التحالفات الأميركية مع دول في المنطقة.

ورغم ان العلاقة الكويتية - الأميركية لا تتوقف في رأيه على موقف الكويت من اسرائيل، الا انه يؤمن ان علاقات كويتية - اسرائيلية ستختصر مسافات كبيرة وتجعل من الأمن الكويتي شأنا أميركيا داخليا، عدا عما يراه من منافع متبادلة، ليس ثنائيا فقط بين الكويت واسرائيل، ولكن ثلاثيا مع الولايات المتحدة.

وهو يضع اللوم كله في سلة ياسر عرفات والفلسطينيين عندما يتحدث عن التقهقر في عملية السلام في الشرق الأوسط.

فطبقا لتحليله، لم يتوقف الارهاب بعد توقيع اتفاقات الحكم الذاتي في سبتمبر ١٩٩٣ في حديقة البيت الأبيض. وجاء انتخاب بنيامين نتنياهو كنتيجة لذلك.

ورافق الدكتور بايبس في لقائه مع «الرأي العام» في مقرها نائب رئيس مجلس الادارة توماس تروب، وهو محام مارس السياسة لمدة ثلاثة عشر عاما كسياسي منتخب عن الحزب الديموقراطي الحاكم حاليا.

وكان وفد من معهد «ميدل ايست فورم» برئاسة بايبس زار الكويت الأسبوع الماضي بدعوة من وزير الإعلام الشيخ سعود ناصر الصباح.

ويثير كثير من آراء الدكتور بايبس مكامن التفكير. وسيختلف معه كثيرون كما سيتفق معه آخرون. ولكن بعيدا عن ذلك آراؤه جديرة بالقراءة.

وهنا نص الحوار:

■ لا تقلقوا في شأننا فليست هناك مقالة واحدة منذ الحرب تدعو إلى علاقات مع صدام

■ الشيخ سعود الصباح ثروة مهمة

والكويتي الأكثر حضوراً في واشنطن

● كيف يمكن تقوية العلاقة القائمة بين الكويت والولايات المتحدة؟

– هناك الصلة العاطفية بين الكويت والولايات المتحدة، فنحن وانتم مررنا معا في فترة مهمة، ربما كانت إحدى أكثر الفترات هيجانا سياسيا في الولايات المتحدة خلال السنوات العشرين الماضية.

وهناك التأكيد على مصلحتنا المشتركة في كويت مستقلة وفاعلة، ليس فقط من وجهة نظر النفط ولكن استراتيجيا وعسكريا. وأنا واحد من الناس الذين يتمنون ان يروا الولايات المتحدة والكويت تعملان المزيد في هذا الاتجاه، مع الكويت أكثر من بعض الدول الأخرى في المنطقة. ومن الجانب الثقافي، تعتبر ديموقراطيتكم مهمة جدا بالنسبة الينا. انها مثال لمجتمع متسامح ومفتوح. فالدول الأخرى في المنطقة ستتبعكم. انتم القادة.

● في لقاء له مع «الشرق الأوسط» السعودية الصادرة من لندن، تحدث حسن الترابي من السودان عن «كيانين مصطنعين» في الشرق الأوسط حسب تعبيره هما اسرائيل والكويت. ويمكن الرد عليه من جوانب عدة. ولكن هناك جانباً لهذا الموضوع هو المقارنة بين الكويت واسرائيل. انظر الى اسرائيل وحاول تطبيق أسلوبها في المحافظة على أمنها.

وربما هذا ما نحتاج لأن نفكر به في نهاية اليوم، من أجل بقائنا على الأقل. ولماذا لا نكون صريحين مع أنفسنا هنا في الكويت ونسأل أنفسنا الأسئلة المهمة: كيف يمكننا أن نرقى بمصلحتنا المشتركة مع الولايات المتحدة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا الى مصاف العلاقة الأميركية ـ الاسرائيلية؟

– في طريقنا الى هنا أتذكر انني قلت لزميلي توم انه يبدو لي ان هناك تشابها قويا بين وضع الكويت ووضع اسرائيل. اذ لديكم مشكلة «وجود» لا تنتهي مع العراق. وبالأسلوب ذاته اسرائيل لديها أعداء لا ينتهون. بإمكان اسرائيل ان تنتصر قدر ما تريد في حروبها، ولكنهم لا ينتهون. وهناك تشابه هيكلي لجهة العلاقة مع الولايات المتحدة، فنحن في مركز العالم اليوم. ومن يريد عمل أي شيء، أكان ذلك في البوسنة أو كمبوديا أو أرمينيا أو اذربيجان، لا بد أن يأتي الينا. وبالنسبة الينا هذا وقت صعب لفعل ذلك. وليس ذلك بسبب زيادة عدد الدول في العالم بمقدار مئة أو مئة وخمسين، وانما لأننا فقدنا معظم اهتمامنا في مسائل العالم. فهناك كثير من الأحداث، بينما يتركز اهتمامنا على الضرائب والتعليم ومسائل داخلية أخرى.

وأرى ان رؤيتك للعلاقة الأميركية ـ الاسرائيلية على أنها أمر فوق العادة صحيح. وأنا أزعم ان ليس لدينا مثل هذه العلاقة مع أي دولة أخرى. وهي علاقة غامضة نوعا ما حتى بالنسبة الى بعضنا الذي يراها عن كثب. وهناك كثير من الأمثلة على خصوصيتها هذه. احدها هو اننا انشأنا منطقة للتجارة الحرة مع اسرائيل في ١٩٨٥. وهي مخفية تماما عن الأعين. فلم يسمع بها أحد ومررها مجلس النواب في الكونغرس من دون معارضة.

وأنشأت الولايات المتحدة في ١٩٩٠ منطقة للتجارة الحرة مع كندا وكان موضوعا مثيرا للجدل، وفي ١٩٩٣ جاءت المنطقة الحرة مع المكسيك وكانت مثيرة للجدل فعلا. يعني ذلك ان هناك منطقتين تجاريتين مع الجارتين وواحدة مع هذه الدولة الصغيرة التي تبعد عنا ثمانية آلاف كيلومتر. اثنتان أثارتا جدلا سياسيا محتدما والثالثة لم يتحدث عنها أحد. وهناك قصص كثيرة على هذا المنوال.

دعوني أعطيكم مثالا آخر. رئيس الولايات المتحدة لا يأبه كثيرا للديبلوماسيين الأجانب المتمركزين في واشنطن. ولكن الرئيس ليندن جونسون أقام علاقة وثيقة ليس فقط مع السفير ولكن مع موظف صغير في سفارة اسرائيل في واشنطن في الستينات. ودعاه لقضاء عطلة معه في مزرعته في تكساس حيث تجول معه في سيارته في أنحاء المزرعة. ومن المعروف عن جونسون انه كان سائقا متهورا فسقطت سيارته ذات مرة في حفرة وانقلبت.

واضطر رجال الحماية المرافقون الى التدخل. هذا أمر لا يمكن تخيل حدوثه لرئيس الولايات المتحدة مع ديبلوماسي أجنبي مغمور من أي دولة أخرى. كما ان القدر الأعظم من المساعدات الأميركية الخارجية يذهب الى اسرائيل، بل ان المعونة الى مصر ليست بعيدة عن هذا الاطار.

والمساعدات لمصر واسرائيل تمثل ثلاثة أرباع المعونات الخارجية الأميركية. وهناك أمثلة لا تنتهي. ولم يحدث هذا صدفة. كما انه لم يحدث نتيجة مؤامرة. وليست هناك منظمة يهودية لحكماء صهيون تدير الولايات المتحدة، كما أنها لم تحدث لأن السياسيين الأميركيين رأوا في اسرائيل مخلبا لصد الاسلام أو القومية العربية، أو للحصول على النفط، ليس أي من هذا، وإنما هو نتيجة جهد مكثف من اسرائيليين ومن اصدقاء لإسرائيليين كثير منهم يهود ولكن ليسوا كلهم يهوداً.

فكثير من المسيحيين الانجيليين يعبرون عن اهتمام كبير بسلامة ورخاء اسرائيل، لأسبابهم الخاصة. واستثمرت جهود كبيرة في هذا المجال.

انتم الكويتيون، ليس لديكم وجود سكاني كثيف في أي مكان، وليس في الولايات المتحدة حتما. المال لا يستطيع أن يفعل كل شيء. فلا بد أن يأتي الأمر عن طريق أفراد مهتمين بتطوير العلاقة بين الكويت والولايات المتحدة.

نعم، لديكم ألفا طالب وطالبة في الجامعات الأميركية. وأنا أرى أنه اذا أردتم تدعيم وتقوية وتوسيع العلاقات الكويتية ـ الأميركية، فسيكون ذلك من خلال الاستمرار في ما بدأتم به: ارسال الكويتيين الى الولايات المتحدة ودعوة الأميركيين الى هنا وخلق تفاهم عبر الانقسام الجغرافي والثقافي بيننا. ولا أرى أنها مهمة مستحيلة. اعتقد ان معظم الأميركيين يودون زيارة الكويت، فهذه دولة أكثر اثارة وديناميكية وتعقيدا مما يتصوره كثيرون. وهذه كانت حتما تجربتي عندما زرت هذا المكان للمرة الأولى. انطباعي عن الكويت كان انها النفط. لا شيء سوى ذلك. وأتيت الى هنا وأمضيت اسبوعا لاكتشف ان هناك أشياء كثيرة لم أعرفها.

– وأمسك توم تروب بخيط الحديث، فقال: أعضاء مجلس ادارة «منبر الشرق الأوسط» هم ربما أكثر علما بمسائل الشرق الأوسط مقارنة بالمواطن الأميركي العادي. وليس هناك واحد بينهم لا يستطيع أن يحدد موقع الكويت على خريطة العالم. عندما أتيت الى الكويت لم أتوقع أن أجد فيها ما وجدته. أنا الآن عائد الى الولايات المتحدة أحمل معي انطباعا رائعا بحق عن الكويت. الصحافة، على سبيل المثال، وسأكون صريحا معك، عندما وصلت الى هنا تحدث أحدهم عن الصحافة الكويتية. وانا ربما كنت أميل الى الاعتقاد بأنه عندما يقول أحدهم ان الصحافة حرة هنا فإن هذه الحرية هي ربما كما يرونها وحسب تعريفهم لها. ولكنني سأرجع الى وطني لأخبر الناس شيئا مغايرا تماما. وأحمل ايضا انطباعا عن مدى مرونة الكويتيين ومنبهراً تماما بحقيقة ان هذه الدولة الصغيرة تعيش في «حارة صعبة» فهناك تصميم وارادة لإبقاء هذا البلد حرا مستقلا. ومن الصعب ان تغادر مكانا مثل هذا من دون ان تكون منبهرا. وأنا أقول هذا من واقع تجربتي كسياسي منتخب لمدة ثلاثة عشر عاماً. أعتقد أنكم اذا استطعتم ان تأتوا الى الكويت بعدد كبير من موجهي السياسة الأميركية، من كتاب ومعلقين، فستتمكنون من خلق صداقة تخدم الكويتيين في شكل جيد.

أتذكر انه عندما وصل دانييل بايبس الى هنا قدمه احد الحضور الى الحاضرين قائلا: إنه «صديق للكويت»، مثل هذا الكلام قد يبدو موغلا في العاطفة بالنسبة الى الأميركيين. ولكنني لا أعتذر عن كوني أميركيا عاطفيا، وسأكون

فخورا لو قدمني أحدهم يوما ما قائلا هذا صديق للكويت.

دخل النقاش هنا مسألة عزيزة على قلب بايبس وهي اقامة علاقات كويتية - اسرائيلية على أسس المصلحة المشتركة. فهو يرى ان البلدين يشتركان في خصائص عدة. فالكويت واسرائيل دولتان صغيرتان محاطتان بهواجس أمنية في محيط مليء بالعنف». والشعبان الصغيران يشتركان في قيم الديموقراطية وحرية الصحافة ودولة المؤسسات. والاثنان يعتمدان في استقرارهما الى حد كبير على الولايات المتحدة.

ورأى الضيفان الأميركيان انه يمكن للكويت الاستفادة من التطبيقات الأمنية الاسرائيلية في الداخل التي نجحت في خلق مجتمع منتج متماسك خلال خمسين عاما تخللتها حروب، وعلى الرغم منها. واعتبرا ان علاقة كويتية - اسرائيلية ستعطي بعدا جديدا لأحد جوانب الوجود الأميركي في منطقة الخليج الا وهو تسهيل مهمة الولايات المتحدة في ضمان أمن وسلامة الكويت والدول الأخرى الصديقة في المنطقة، ورأى بايبس ان مثل هذا الأمر من شأنه أن يخلق للكويت موقعا جديدا داخل المؤسسة السياسية الأميركية وفي أجندة الشأن المحلي الأميركي.

وقال بايبس: بإمكانكم ان تصبحوا جزءا من ذلك التواصل الأميركي - الاسرائيلي اذا قيل علناً مثل هذا النوع من الكلام الذي أقوله أنا وزميلي ومن الواضح ان ذلك سيكون على حساب آخرين، ولكنكم ستقفزون فجأة الى مستوى جديد تماماً، لأننا ننظر الى الشرق الأوسط بعيون إسرائيلية الى حد كبير. ومرة أخرى هذا ليس نتيجة مؤامرة. نحن نحترم الإسرائيليين ونهتم برفاهيتهم. انظروا ماذا حدث مع السادات. لم يكن صديقاً للأميركيين، ولكنه انضم الى المحادثات وأصبح فجأة بطلاً «سوبر ستار» في أميركا. وهناك عرفات. قتل أميركيين وليس صديقاً للولايات المتحدة. مدّ يده الى الإسرائيليين ووجد نفسه فجأة في حديقة البيت الأبيض. ويمكن لسورية أن تكون كذلك.

وتابع: إذا جاء قراركم استراتيجياً فستنضمون فعلاً الى المخيم الأميركي. وعندها فإن أموراً كثيرة ستصبح متاحة. وستجدون طوفاناً من المشاعر والدعم تجاهكم. وسيكون هناك تغير دراماتيكي في علاقتنا. ستصبح مثل هذه العلاقة وثيقة ودائمة. انه الطريق المختصر. بل هو الطريق إياه. بعد ذلك لا تحتاجون الى شركة يونين كارباييد أو أي شيء من ذلك القبيل. اقفزوا فوق كل ذلك.

● وزير الإعلام الكويتي الشيخ سعود ناصر الصباح هو أحد المسؤولين هنا على ارتباط ومشاركة في أنشطتكم كيف ترون مشاركة شخصية في مثل أهميته وموقعه في نشاطاتكم وتواصله معكم؟

أجاب بايبس: أعتقد أنه يمثل ثروة مهمة للغاية لأنه يفهم الولايات المتحدة جيداً، فربما هو الكويتي الوحيد الأكثر حضوراً هناك، ولديه إلمام استراتيجي بمعضلة الكويت. ونحن أحد المراكز البحثية التي ترى فيه عاملاً مساعداً في بناء العلاقة. ويسعدنا ان نساهم في ذلك، ليس فقط لأن ذلك في صالحكم بل لأنه يصب في مصلحتنا أيضاً.

● هل ترى في الافق ما يسمح للولايات المتحدة وللرأي العام هناك بقبول التعامل مع عراق يقوده صدام حسين؟

- يجيب بايبس: لا أرى ذلك ممكناً. فالولايات المتحدة تختلف عن الديموقراطيات الغربية الأخرى في مسألتين اساسيتين، وهناك نوع من الغموض، هنا لا استطيع ان اشرح سببه، ولكن أستطيع ان أحدده. الاول هو اننا كشعب لدينا حس استراتيجي اكبر. نحن نشعر بالاخطار المحتملة ونراها في شكل ابعد من اصدقائنا الاوروبيين مثلا. ففي اثناء الحرب الباردة رأينا الخطر السوفياتي في شكل اوضح من الاوروبيين او اليابانيين. الامر الاخر هو ان شعبنا لديه الحس الانساني في صورة اعمق. الاوروبيون ومعظم بقية العالم يتعاملون في مستوى المصالح المجردة. على سبيل المثال، احد جوانب الحرب الباردة بالنسبة الينا كان الاهتمام بأوضاع شعوب الاتحاد السوفياتي اضافة الى الهم الاستراتيجي المتمثل في

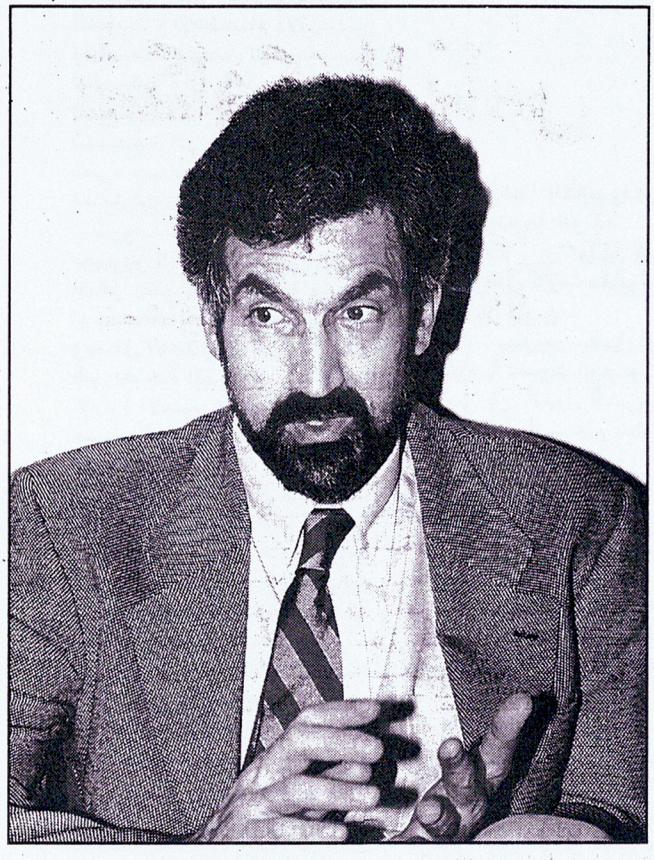

دانييل بايبس

ترسانة الاسلحة. والمثال ذاته ينطبق على حرب تحرير الكويت والاهتمام الانساني بمأساة كل من الشعبين الكويتي والعراقي. ونحن لا نبيع اسلحة الى العراق كما لا نبيعها الى ايران. فالتجارة شيء جميل ولكن هناك اعتبارات اخرى ايضا.

تروب: منذ نهاية حرب تحرير الكويت حتى الان لا اتذكر انني قرأت مقالة واحدة او سمعت رأيا ولو يتيما في وسائل الاعلام الاميركية يدعو الى اعادة النظر في موقف الادارة الاميركية من صدام حسين. نحن صامدون فلا تقلقوا من جانبنا.

● كيف ترون في مركزكم المأزق الذي وصلت اليه العملية السلمية في الشرق الاوسط بعد انتخاب حكومة بنيامين نتنياهو التي قوضت كثيراً من نجاحات حكومة اسحق رابين؟

- بايبس: اسرائيل تجد نفسها في وضع يشبه وضع الكويت. هناك حركة رفض من جانب الفلسطينيين وغيرهم الذين لا يريدون القبول باسرائيل. وهذا هو لب المشكلة. فبينما اشار عرفات قبل اربع سنوات الى أنه يقبل باسرائيل فان شعبه لا يشاركه هذا الشعور. وارى أن المشكلة اعمق من ذلك. هناك زعماء قبلوا السلام مع اسرائيل مثل السادات والملك حسين ولكن لا تقبل شعوبهم ذلك السلام. فتم ذبح السادات ولم يبكه احد، اعتقد ان هذه قضية رئيسية. الاسرائيليون لجأوا الى القوة العسكرية وحققوا بعض نجاحات. ولكن هذا ليس حلا. المؤسسة العسكرية والمؤسسة التجارية في اسرائيل قد لا يعجبها هذا الكلام ولكن حان الاوان لمواجهة الواقع.

● كلام مثير، ولكن شمعون بيريس يقول كلاما مغايرا..

- اعلم ذلك.

● ... بيريس يقول ان هذه الحكومة دمرت توجها كان يتنامى بين الدول العربية في اتجاه اقامة سلام كامل مع اسرائيل.

بايبس: وانا اقول ان ذلك يشبه القبول برأي كويتي يقف في برلمان بلاده ليقول ان مشكلتنا مع العراق اننا نقوم باستفزازه وان العراقيين اظهروا نضجا وانهم تغيروا ويجب علينا التعاطي مع ذلك. هذا كلام خاطئ. انه كلام يعكس اما وهناً او رفضا بقبول واقع الامور. وأرى أن بيريس اصبح وهناً جدا. فقد مضى على عمله السياسي ستون عاما وهو عمل جندياً ومن بعده ابناؤه وأحفاده. وهو يريد وضع نهاية لذلك. والقيام بتحليل لهذا النزاع في مثل هذا الوقت يظهر انك لست في موقع يسمح لك بتقرير هل الحرب انتهت مع العراق. لا يمكنك ان تقول ان النزاع اصبح في طي الماضي. يجب ان تقبل الشعوب بالسلام.

● ولكن هذه هي المشكلة. كثير من الزعماء العرب الذين يقررون السلام نيابة عن شعوبهم ليسوا مفوضين، الديموقراطية هي المعضلة، بعكس اسرائيل.

- ولكن عندما يكون لديك زعماء مثل مصر والاردن ممن هم ايجابيون حقيقة ويريدون بصدق انهاء النزاع، لا أرى سببا يمنع القبول بهذا التوجه.

● المعضلة هنا هي انك بوضعك اللوم كله في سلة عرفات تتغاضى عن نقطة محورية وهي ما قام ببنائه رابين وتالياً ما يقوم نتنياهو بهدمه. ليتك كنت هنا. في الأردن أو لبنان أو مصر، أو حتى في الكويت في اليوم الذي تلى اغتيال رابين على يد متطرف يهودي. كانت هناك في منتديات خاصة، بين غرف مكاتب العمل، مناظر حقيقية لمشاركة رجال ونساء بسطاء في الحزن، ليس في مقتل رابين ربما ولكن في سقوط التوجه الجديد للدولة الاسرائيلية تحت قيادة رابين في الوصول الى تسوية وتالياً الى سلام يضع حداً للقتال في المنطقة. كانت هناك روح جديدة. تيار جديد. تباشير الاستقرار والحديث عن التنمية ومشاكل الناس الحقيقية. مشاكل المعيشة. جاء نتنياهو وفشل في ملاحظة رياح التغيير هذه وقلب الأمور على أعقابها. وضع المنطقة من جديد على أعتاب الحرب.

- دعني أرد عليك باعطاء مثال عن الحرب الأميركية - الفيتنامية. عدد لا يستهان به من الأميركيين رأى في تلك الحرب عدواناً أميركياً. كان هناك العديد من الفرنسيين في الحرب الجزائرية الذين رأوا فيها عدواناً فرنسياً. ربما كان بعضهم على حق وربما كانوا على خطأ. ففي ديموقراطية ناضجة هناك مساحة كبيرة من الآراء وهي عادة ما تتهم حكوماتها بأنها سبب المشكلة.

أما بالنسبة للنقطة الثانية ومفادها ان موت رابين أدى الى تجاوب عاطفي وان نتنياهو قلب ظهر المجن للسلام فانه لا شك كلامك صحيح وان الأجواء تغيرت. ولكن السؤال هو: لماذا تغيرت الأجواء؟ لماذا أنتخب نتنياهو؟ تم انتخابه لأن الارهاب لم يتوقف. الهدف من هذا الكلام هو الآتي: كان هناك اتفاق. وافق الاسرائيليون على اعطاء الفلسطينيين أموراً مثل السلطة والشرطة والحكم الذاتي في مقابل القبول بسلام مع اسرائيل والقبول بالدولة. قالوا لهم انه ستكون هناك خلافات بيننا. ولكن من تلك اللحظة وصاعداً لن يلجأ أي منا الى القوة. لن يكون هناك ارهاب. استنتاجي هو انه من العدل القول ان هذه الالتزامات لم تنفذ.

الشعب الاسرائيلي أصيب بالاحباط والخيبة.

نعم كلامك صحيح ان هناك تغيراً في الأجواء والمزاج. ولكن انتخاب نتنياهو هو نتيجة وليس السبب. ولذلك فإنني ألوم الفلسطينيين وأرى انهم لم يلتزموا بالمبادئ الأساسية.

بل حتى في ليلة الاحتفال في حديقة البيت الابيض، ظهر عرفات في شاشات التلفزيون منادياً الى «الجهاد».